منصة بناء العلمية
تأصيل وتسهيل

اغتنام خير الأيام
عشر ذي الحجة

كتبها
خالد بن عبد العزيز الباتلي

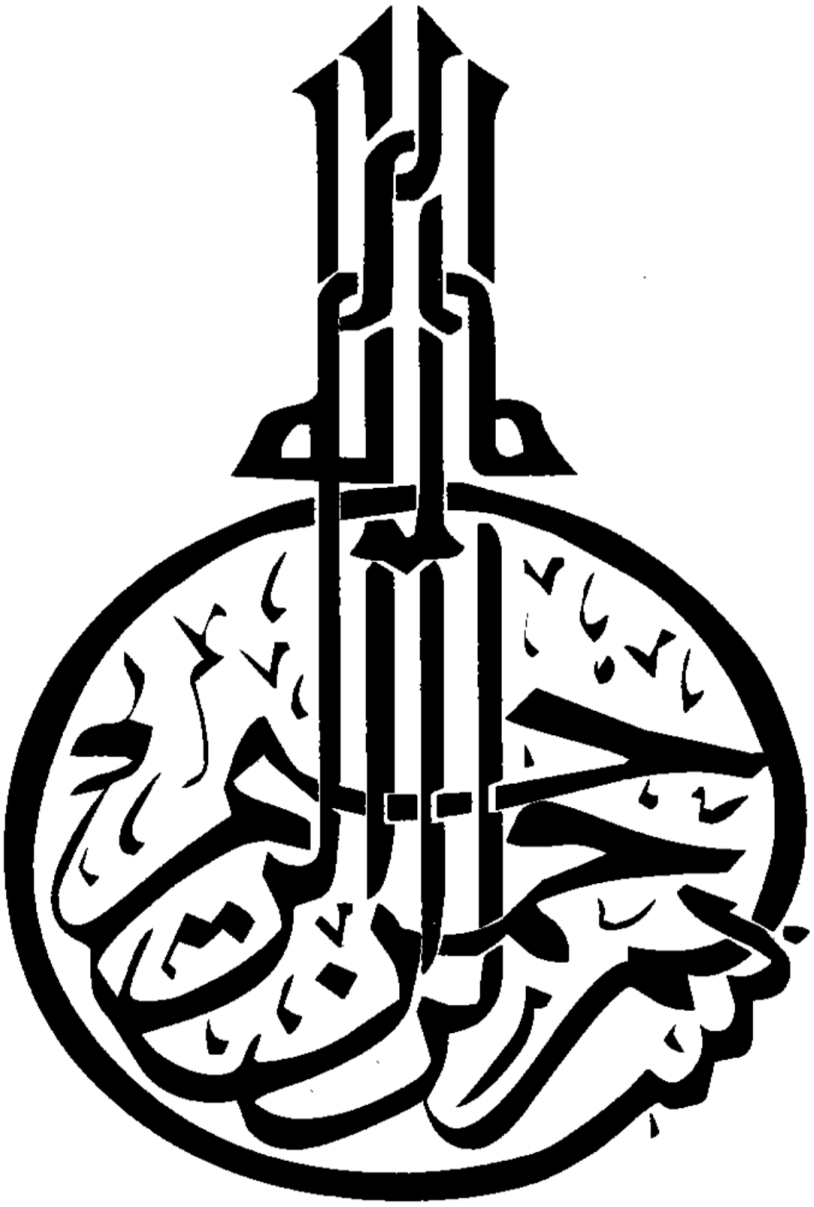

المقدمة

الحمد الله الرحيم الغفار، خلق الشمسَ والقمر يجريان بحُسبانٍ ومقدار، ﴿**يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ**﴾، والصلاة والسلام على رسول الله، جاء بالدين القيم المختار.

أما بعد ..

فإن من حكمة الله – تعالى – تفضيلَ بعضِ الأزمنة والأمكنة على بعض في تعظيم الأجور وكثرة الفضائل؛ ليكون ذلك عونًا للمسلم في تجديد النشاط، وزيادة العمل، والرغبة في الطاعة، لِيَعْظُمَ أجرُه، فيتأهب للسفر، ويتزود للمعاد.

وإن من تلك المواسم العظيمة والأيام الفاضلة: العشرَ الأول من شهر ذي الحجة، التي جُعلت مَغْنمًا للطائعين، وميدانًا لتنافس المتنافسين.

وسيكون الحديث عنها في أربعة مباحث:

المبحث الأول: فضائل عشر ذي الحجة.

المبحث الثاني: فضل يوم عرفة ويوم النحر.

المبحث الثالث: الأعمال المشروعة في عشر ذي الحجة.

المبحث الرابع: وصايا.

المبحث الأول: فضائل عشر ذي الحجة

أولا: الشهادة النبوية بفضلها.

وجاء هذا في عِدَّة أحاديث، منها:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**ما مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيها أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ**»، يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ. قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، وَلا الْجِهادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قالَ: «**وَلا الْجِهادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**»(١).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيا أَيَّامُ الْعَشْرِ**»(٢).

فهذا دليلٌ واضح على عظيم فضل أيام عشر ذي الحجة على غيرها من أيام السنة من غير استثناء شيء منها. وتكلم العلماء في المفاضلة بينها وبين العشر الأواخر من رمضان، ولهم قولان في ذلك:

الأول: أن عشر ذي الحجة أفضل بأيامها، وعشر رمضان أفضل بلياليها.

وهذا رأي ابن تيمية وابن القيم؛ لأن عشر رمضان فيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

والثاني: أن عشر ذي الحجة أفضل مطلقا. وقوَّاه ابن رجب.

قالوا: «الأيام إذا أُطلِقت دخلت فيها الليالي تَبَعا»(٣).

وقالوا: الفضل الوارد في عشر رمضان في ليلة القدر، وهي ليلة واحدة، فمجموع عشر ذي الحجة أفضل من مجموع عشر رمضان، سوى ليلة القدر(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٩٦٩)، وأبو دواد (٢٤٣٨)، واللفظ له.

(٢) **صحيح**: أخرجه البزار في مسنده، كما في «كشف الأستار» (١١٢٨)، والطبراني في «فضل عشر ذي الحجة» (١١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٣٣).

(٣) «لطائف المعارف» (ص: ٤٦٧).

(٤) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤٦٨).

وعلى كل حال، فعشر ذي الحجة زمان شريف فاضل، اجتمع فيها شرف الزمان لعموم المسلمين، وشرف المكان لخصوص حُجَّاج بيت الله الحرام.

ثانيا: أن الله - تعالى - أقسم بها.

والإقسام بالشيء دليل على أهميته وعظمته، قال الله - تعالى -: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]، قال ابن عباس وغيره من السلف والخلف: «إنها عشر ذي الحجة»، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو الصحيح[1]، وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين من السلف وغيرهم»[2].

ثالثا: أن فيها يومَ عرفة ويومَ النحر.

وسيأتي الكلام عليهما في مبحث خاص.

رابعا: أن فيها صلاةَ العيد والأضحيةَ والحج.

وهذه شعائر عظيمة من شعائر الإسلام.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتَّى ذلك في غيره»[3].

خامسا: أنها من أحد الأشهر الحرم.

وهي أربعة أشهر: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب.

وسميت هذه الأشهُر الأربعة حُرُما؛ لِعظَم حرمتها ولحرمة القتال فيها، قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، أي: في هذه الأشهرِ المحرمة.

---

(١) ينظر: «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣١٨).

(٢) «لطائف المعارف» (ص: ٤٦٩).

(٣) «فتح الباري» (٢/ ٤٦).

وفُسِّر الظلم بأنه: فعل المعاصي وترك الطاعات، وهو يشمل ظلم العبد لنفسه بالمعصية، وظلم العبد لغيره بأنواع المظالم.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «خَصَّ اللهُ من شهور العام أربعةَ أشهر فجعلَهُن حُرُما، وعَظَّم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن والعمل الصالح والأجر أعظم»[1].

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «العمل الصالح أعظمُ أجرا في الأشهر الحرم، والظلم فيهن أعظمُ من الظلم فيما سواهن، وإن كان الظلم على كل حال عظيما»[2].

سادسا: أنها العشر التي أتمها الله في ميعاد موسى عليه السلام.

قال الله - تعالى -: ﴿**وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**﴾ [الأعراف: ١٤٢]، جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيرِه من المفسرين، أن المراد بهذه الأربعين: شهر ذي القعدة، وعشر من ذي الحجة.

❀ ❀ ❀

(١) «جامع البيان» للطبري (١٤/٢٣٨).

(٢) المرجع السابق (١٤/٢٣٩).

المبحث الثاني: يوم عرفة ويوم النحر

هذان اليومان من أيام العشر، وهما أفضلها، كما قرر بعض أهل العلم أنَّ كل زمانٍ فاضل فآخرُه أفضلُ من أوله.

أولا: يوم عرفة.

يوم عرفة يوم عظيم من أيام الله، ومن فضائله:

١- **فيه ركن الحج الأعظم**، قال النبي ﷺ: «**الحجُّ عَرَفَةُ**»(١).

٢- **هو اليوم المشهود** الذي أقسم الله - تعالى - به في قوله: ﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾ [البروج: ٣].

وهو يوم عيد لأهل الموقف، كما جاء عن عُقْبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنا أَهْلَ الْإِسْلامِ**»(٢).

٣- **يوم إكمالِ الدين وإتمام النعمة.**

في هذا اليوم نزل على النبي ﷺ إعلانُ إكمالِ الدين وإتمامِ النعمة، كما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قالَ لَهُ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتابِكُمْ تَقْرَءُونَها، لَوْ عَلَيْنا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاتَّخَذْنا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قالَ: «أَيُّ آيَةٍ؟» قالَ: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]، قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَدْ عَرَفْنا ذَلِكَ اليَوْمَ والمَكانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠١٦)، وصححه الألباني.

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (٢٤١٩)، والترمذي (٧٧٣)، والنسائي (٣٠٠٤)، وصححه الألباني.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

٤- يوم الرحمة والعفو والعتق من النار.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبي ﷺ قال: «**ما مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُباهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ، فَيَقُولُ: ما أَرادَ هَؤُلاءِ؟**»[١].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا يدُلُّ على أنَّهم مَغفُورٌ لهم؛ لأنَّه لا يُباهي بأهلِ الخطايا والذُّنوب إلَّا من بعد التَّوبةِ والغُفران»[٢].

إن كنتَ تطمع في العتق فاشتر نفسك من الله؛ ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ**﴾ [التوبة: ١١١]، من كَرُمت عليه نفسُه، هان عليه ما يبذُل في افتكاكها من النار.

٥- دنُو الله - تعالى - فيه من عباده، ثم يباهي ملائكته بأهل الموقف.

من جلالة هذا اليوم وعظمته، ما جاء في الحديث السابق: «**إِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُباهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ، فَيَقُولُ: ما أَرادَ هَؤُلاءِ؟**». وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يُباهِي بِأَهْلِ عَرَفاتٍ أَهْلَ السَّماءِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: انْظُرُوا إِلَى عِبادِي جاءُونِي شُعْثًا غُبْرًا**»[٣].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحجيج عشيةَ عرفة ينزل على قلوبهم من الإيمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبيرُ عنه»[٤].

٦- يوم عرفة يوم الدعاء.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ الدُّعاءِ دُعاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ ما قُلْتُ أَنا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

(٢) «التمهيد» (١/ ٢٩٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٨٠٤٧)، وابن حبان في صحيحه (٣٨٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٧٠٨)، وصححه الألباني.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٧٤).

(٥) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٥٨٥)، وأحمد في «المسند» (٦٩٦١)، وحسنه الألباني.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دعاء عرفة مجاب كلُّه في الأغلب إن شاء الله، إلا للمعتدين في الدعاء بما لا يرضى الله»[1].

٧- صيامه يكفر سنتين.

يُسَن صيامُ هذا اليوم لغير الحاج؛ فقد سئل النبيُّ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ فَقالَ: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْماضِيَةَ والْباقِيَةَ**»[2]، والمراد بالسنة: اثنا عشر شهرا قبله، ومثلها بعده.

فالوصية - أيها الإخوة - أن نقدُرَ هذا اليومَ قدرَه، وأن نتفرغَ فيه لربنا داعين متضرعين مبتهلين، وأن نلهج بكلمة التوحيد، كما في الحديث: «**خَيْرُ ما قُلْتُ أَنا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**».

هذا يوم عظيم جليل اجتمعت فيه نسائمُ الخير والرحمات، ونفائسُ المنح والبركات، وعظائمُ الجود والعتق والنفحات؛ فاقدُرُوه قدرَه، وتفرَّغُوا فيه من أشغالكم، وأرُوا الله من أنفسكم خيرا.

ثانيا: يوم النحر.

وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، ومن فضائله:

١- أنه خير الأيام عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ورد ذلك في قوله ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ - تَبارَكَ وَتَعالَى - يَوْمُ النَّحْرِ**»[3]، وجاء بلفظ: «**أَفْضَلُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ**»[4].

وبحث العلماء مسألة: أفضل الأيام عند الله؟

ولهم في ذلك ثلاثة أقوال: يوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم النحر.

---

(١) «الاستذكار» (٢/٥٣١).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٧٦٥)، وأحمد في «المسند» (١٩٠٧٥)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٨١١).

وذهب ابن تيمية وابن القيم رَحِمَهُمَا اللَّهُ إلى أن أفضل أيام الأسبوع: يوم الجمعة، وأفضل أيام العام: يوم النحر.

٢- أنه يوم الحج الأكبر.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الجَمَرَاتِ فِي الحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَا، وَقَالَ: «**هَذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ**»(١).

وسمي بذلك؛ لأن معظم أعمال الحجِّ تكون في هذا اليوم، ففيه: رميُ جمرة العقبة، والنحر، والحلق أو التقصير، وطواف الإفاضة، والسعي.

٣- أنه يوم عيد المسلمين.

فالمسلمون لهم عيدان في العام: عيد الفطر وعيد الأضحى، وهو أفضل العيدين.

ولما قدم النبي ﷺ المدينة كان لهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِما خَيْرًا مِنْهُما: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ**»(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يوم عرفة مقدِّمةٌ ليوم النحر بين يديه، فإن فيه يكونُ الوقوفُ والتضرُّعُ والتوبة والاستقالة، ثم يوم النحر تكونُ الوِفادةُ والزيارة. ولهذا سمِّي طوافُه طوافَ الزيارة؛ لأنهم قد طُهِّروا من ذنوبهم يوم عرفة، ثم أُذِن لهم يوم النحر في زيارته، والدخول عليه إلى بيته. ولهذا كان فيه ذبحُ القرابين، وحلقُ الرؤوس، ورميُ الجِمار، ومعظمُ أفعال الحج، وعمل يوم عرفة كالطُّهور والاغتسال بين يدي هذا اليوم»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١١٣٤)، والنسائي (١٥٥٦)، وصححه الألباني.

(٣) «زاد المعاد» (١/ ٣٤).

المبحث الثالث: الأعمال المشروعة في عشر ذي الحجة

إن من فضل الله على عباده كثرةَ الخيرات، وتنوعَ الطاعات؛ ليدوم نشاطُ المسلم، ويبقى ملازما لطاعة ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعبادته.

وفي عشر ذي الحجة أعمال فاضلة وطاعات متعددة ينبغي للمسلم أن يَحْرِصَ عليها، ويجتهد في عمارتها، ومنها:

١- الصلاة.

الصلاة نور وهُدى، وهي صلة بين العبد وربه، وفيها حياة القلب، وطمأنينة النفس، وانشراح الصدر، وراحة البال.

الصلاة مركز الإيمان، وأصل الإسلام، ورأس العبودية، ومحل المناجاة والقربة إلى الله، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو مُصلٍّ، وأقرب ما يكون منه في صلاته وهو ساجد(١).

الصلاة مَفزِعُ المرسَلين، وسمة الصالحين.

قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا، واعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمالِكُمُ الصَّلاةَ، وَلا يُحافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»(٢).

وقال ﷺ: «**الصَّلاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ، فَمَنِ اسْتَطاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرْ**»(٣).

فما اغتنم العبد وقته بمثل الوقوف بين يدي ربه، يتلو كلامه ويناجيه، ويضع جبهته على الأرض ذلًّا وعبودية للعزيز المعبود، وكم يتحسر الأموات على ساعات مضت لم يعمُرُوها بركعتين.

---

(١) ينظر: «تهذيب سنن أبي داود» (٣/ ٣٧٠)، لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٧٧)، وأحمد في «المسند» (٢٢٣٧٨)، وابن حبان في صحيحه (١٠٣٧)، وصححه الألباني.

(٣) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٤٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٩٠).

وخير ما تُعْمَرُ به الأوقاتُ الفاضلة الصلاةُ، فصُفُّوا أقدامكم، وأطيلوا صلاتَكم خاشعين منيبين؛ فهي قرةُ العيون، وروضةٌ تتقلب فيها بين نعيم القلب، ولذة الروح: تلاوةٌ وذكر، دعاءٌ ومناجاة، قيام وقعود، ركوع وسجود، خضوع وخشوع.

وأول ما يندرج في الصلاة: الفرائض الخمس، ثم الرواتب والضحى وقيام الليل، والنفل المطلق، فيصلي العبدُ ما تيسر له بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء.

٢- الصيام.

فيشرع للمسلم أن يصوم تسعَ ذي الحجة؛ لأن النبي ﷺ حثَّ على العمل الصالح فيها، ومُقتضى الحديث أن الصيام فيها أفضل من الصيام في غيرها.

والصيام من أفضل الأعمال، وقد اصطفاه الله - تعالى - لنفسه كما في الحديث القدسي: قال الله: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنا أَجْزِي بِهِ**»(١).

وقال أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي بِعَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَقالَ: «**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ**»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «صيامُها مستحَب استحبابا شديدا»(٣).

وآكَد هذه الأيام يومُ عرفة لغير الحاج، وسبق أن صومه يكفِّر السنة الماضية والسنة القابلة.

٣- الذكر.

فيُشرع في هذه العشر الإكثارُ من ذكر الله - تعالى - بالتكبير والتهليل والتحميد والتسبيح والاستغفار والدعاء وقراءة القرآن، ونحو ذلك.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي (٢٢٢٠)، وأحمد (٢٢١٤٠)، وابن حبان (٣٤٢٥)، وصححه الألباني.

(٣) ينظر: «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٧١).

قال الله – تعالى –: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، والأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة عند جمهور العلماء.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**ما مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ، وَلا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، والتَّكْبِيرِ، والتَّحْمِيدِ**»(١).

والأحاديث في فضل الذكر كثيرة مشهورة.

وإن من أفضل الذكر: قراءةَ القرآن، فمن قرأ حرفا منه فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها.

ويحسُن بالمسلم أن يُرَتِّبَ له ختمة أو أكثر في هذه العشر المباركة.

مسائل تتعلق بالتكبير في أيام العشر.

مما يشرع في هذه العشر خصوصا: **التكبير**، والكلام عليه في مسألتين:

المسألة الأولى: أنواعه.

التكبير في هذه العشر نوعان:

١- التكبير المطلق.

وهو الذي يُشرع كل وقت سِوى أدبار الصلوات، ويبدأ من دخول العشر إلى آخر أيام التشريق.

وتدخُل العشر بغروب شمس آخر يوم من ذي القعدة، وتنتهي أيام التشريق بغروب شمس اليوم الثالث عشر من ذي الحجة.

فيكبر المرء في المسجد وفي البيت وفي السوق وفي الطريق، ونحو ذلك.

٢- التكبير المقيد.

وهو الذي يكون بعد الصلوات المكتوبة، وهو آكَد وأثْبَتُ من التكبير المطلق.

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣٩١٩)، وأحمد في «المسند» (٥٤٤٦)، والطبراني في «الكبير» (١١١١٦)، وصححه محققو «المسند».

فإذا سلَّم من الفريضة، واستغفر ثلاثا، وقال: اللّٰهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام = كَبَّر. وإنْ شاء كَبَّر بعد السلام مباشرة.

ويبدأ لغير المُحرِم: من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق.

وللمُحرِم: من صلاة الظهر يوم النحر إلى عصر آخر أيام التشريق.

فيجتمع في أيام التشريق التكبير المطلق والمقيد.

المسألة الثانية: صيغته ومعناه.

من الصيغ الواردة في التكبير في تلك الأيام:

١- «اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ولله الْحَمْدُ».

وهذا منقول عن بعض الصحابة والتابعين[١]. وفيه جمع بين الكلمات الثلاث التي ورد الحث عليها في هذه العشر: «**فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، والتَّكْبِيرِ، والتَّحْمِيدِ**»[٢].

وإن جعل التكبير ثلاثا في أوله؛ فقد ورد عن بعض الصحابة:

٢- «اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ولله الْحَمْدُ»[٣].

٣- «اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ، اللهُ أَكْبَرُ ولله الْحَمْدُ».

وجاءت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٤].

٤- «اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا».

وجاءت عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل ذكر ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ بأنه أصح ما ورد فيه[٥].

والأمر في هذا واسع، فالمشروع التكبير بأي صيغة كانت.

---

(١) ينظر: «المصنف» لابن أبي شيبة، أرقام: (٥٦٥٠، و٥٦٥١، و٥٦٥٣).

(٢) تقدم تخريجه قريبا.

(٣) «المصنف»، لابن أبي شيبة (٥٦٣٣).

(٤) «المصنف»، لابن أبي شيبة (٥٦٤٦).

(٥) «فتح الباري» (٢/٤٦٢).

المسألة الثالثة: الجهر بالتكبير.

جاء في ذلك آثار، منها:

١- عن ابن عمر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنهما كانا يخرجان إلى السوق أيام العشر، فيكبِّران ويكبر الناس بتكبيرهما[١].

٢- وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّه كان يُكَبِّرُ في قُبَّتِهِ بِمِنًى فيسمعه أهل المسجد فيُكَبِّرُون ويُكَبِّر أهل الأسواق حتى تَرْتَجَّ مِنًى تكبيرا[٢].

٣- وكَبَّر رجل أيام العشر، فقال مجاهد: أفلا رفع صوته، فلقد أدركتُهم، وإن الرجل ليكبِّر في المسجد، فيرتجُّ بها أهلُ المسجد، ثم يخرج الصوت إلى أهل الوادي حتى يبلغ الأبطح، فيرتج بها أهلُ الأبطح، وإنما أصلُها من رجل واحد[٣].

٤- وعن ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أدركتُ الناس وإنهم ليكبرون في العشر، حتى كنت أشبِّهُه بالأمواج من كثرتها، ويقول: إن الناس قد نقصوا في تركهم التكبير[٤].

فيجهر الرجال بالتكبير، وتُسِر النساءُ إذا كُنَّ بحضرة رجال أجانب، وإذا لم يكُن حولهنَّ رجالٌ فلا حرجَ في الجهر.

وفي رفع الصوت فائدتان:

١- إشاعة هذه الشعيرة.

٢- تذكير الناس بها.

---

(١) أخرجه البخاري معَلَّقا مجزوما به قبل الحديث (٩٦٩)، ووصله الفاكهي في «أخبار مكة» (١٠١٣).

(٢) أخرجه البخاري معَلَّقا مجزوما به قبل الحديث (٩٧٠)، ووصله البيهقي في «السنن الكبرى» (٦٢٦٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣٩٢٠).

(٤) «فتح الباري»، لابن رجب (٦/١١٢).

ومما يلحق بالتكبير: التهليل والتحميد، فيُشرع اللهج بهذه الكلمات في هذه العشر؛ لقوله ﷺ: «**ما مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ، وَلا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، والتَّكْبِيرِ، والتَّحْمِيدِ**»(١).

ويضاف لهن التسبيح، فهذه الكلمات الأربع - سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر - لها شأن وفضل وقدر عظيم في الشريعة.

التقى الخليلان: محمدٌ وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام - وهما أفضل الخلق على الإطلاق - التقيا في ليلة الإسراء، وحينما يلتقي العظماءُ في مناسبات عظيمة فلا بد أن يكون الحوار في أمر عظيم، فاستمِعُوا ماذا دار بينهما، قال النبي ﷺ: «**لَقِيتُ إِبْراهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الماءِ، وَأَنَّها قِيعانٌ، وَأَنَّ غِراسَها سُبْحانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ وَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ**»(٢).

كان الحديث موجزا، تضمَّن الوصيةَ بهذه الكلمات الأربع فقط.

فأيُّ فضيلةٍ، وأيُّ منزلةٍ نالَتْها هذه الكلماتُ الأربع؟!

هي أحَبُّ الكلام إلى الله - تعالى -، وأفضلُ ممَّا طلعت عليه الشمس.

فوصيتي لنفسي ولمن يقرأ كلماتي هذه، وأنا ناصح لكم ومحب، أن تُرَطِّبُوا أفواهكم وتعمُروا أوقاتكم في هذه العشر، وفي غيرها، وتزرعوا لآخرتكم بهذه الكلمات الأربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، مع حضور القلب واستحضار المعنى.

«**سبحان الله**»: تنزيه الله عن العيب والنقص وصفة السوء، لكماله وجلاله - تعالى -.

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٣).

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤١٧٠)، وحسنه الألباني.

والمخلوقات تسبح اللهَ خالقها تسبيحا حقيقيا لا نفهمه، قال الله – تعالى –: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٤].

«**الحمد لله**»: الحمد هو الوصف بالجميل مع المحبة والتعظيم.

«**لا إله إلا الله**»: كلمة التوحيد والعروة الوثقى وكلمة التقوى، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله – تعالى –.

قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعاءِ الحَمْدُ للهِ**»(١).

«**الله أكبر**»: التكبير هو تعظيم الربِّ – تبارك وتعالى – وإجلالُه، واعتقاد أنه لا شيء أكبرُ ولا أعظمُ منه، فيصغر دون جلاله كلُّ كبير، فهو الذي خضعت له الرقاب، وذلَّت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كلَّ شيء، ودانت له الخلائق.

وأمر الله نبيه ﷺ بالتكبير مرتين في كتابه، قال – تعالى –: ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرٗا﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال – سبحانه –: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر: ٣].

٤- الحج والعمرة.

الحج مما يخص هذه العشر ويميِّزُها عن بقية أيام السنة، وهو من أفضل ما يُعمل في هذه العشر، ويتأكد الأمر لمن لم يؤَدِّ هذه الفريضة، الركنَ الخامسَ من أركان الإسلام، وهو قادر على ذلك.

قال الله – تعالى –: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِما بَيْنَهُما، والحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ**»(٣).

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وحسنه الألباني.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

والحج المبرور ما جمع الأوصاف الآتية:

أ- الإخلاصُ لله - تعالى -. فلا يقصد الثناءَ أو مسايرة الناس والأقران، أو ليُقال: الحاج فلان، أو جَرْيا على عادة سنوية تعوَّدَها.

ب- أن يكون المال حلالا.

إذا حَجَجْتَ بِمالٍ أَصْلُهُ دَنَسٌ ... فَما حَجَجْتَ، وَلَكِنْ حَجَّتِ العِيْرُ

لا يَقْبَلُ اللهُ إلَّا كُلَّ طَيِّبَةٍ ... ما كُلُّ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ مَبْرُورُ[1]

ج- أن يؤدِّي النسُكَ على وجهه، ويكونُ ذلك بعد تعلُّم الصفة المشروعة، ومما يعين على تعلُّم صفة الحج الصحيح مصاحبةُ طلبة العلم، واستصحاب الكتب أو التطبيقات المفيدة.

د- اجتناب المحظورات العامة والخاصة بالحج - محظورات الإحرام - والإخلال بالنسك.

٥- الأضحية.

وسُمِّيت بذلك لأن أفضل زمن لذبحها ضُحَى يوم العيد.

وهي مشروعة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال الله - تعالى -: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ**﴾ [الكوثر: ٢]، فأمر الله - تعالى - نبيَّه ﷺ أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما: الصلاة والنحر، وهما من أعظم الطاعات وأجلِّ القُرُبات.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أقام النبي ﷺ بالمدينة عشر سنين يضحي[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم يكن ﷺ يدَع الأضحية»[3].

---

(١) «معجم الشعراء» (ص: ٣٩٧)، والبيتان لأبي الشمقمق الأموي مروان بن محمد.

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (١٥٠٧)، وأحمد في «المسند» (٤٩٥٥)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

(٣) «زاد المعاد» (٢/ ٢٨٩).

وقد دلَّت السنة على أن من أراد الأضحية عليه أن يمسك عن الأخذ من شعره وظفره وبشرته، من دخول العشر إلى أن يذبح أضحيته؛ لقول رسول الله ﷺ: «**إِذا رَأَيْتُمْ هِلالَ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَرادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفارِهِ**».

وفي رواية: «**فَلا يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا**»(١).

والمراد بالبَشَر: الجلد.

ولو تعمَّد الأخذَ فليستغفر الله، ولا فدية عليه إجماعا، والأضحيةُ بحالها.

ويبدأ الحظر بغروب شمس آخر يوم من ذي القعدة، وليس عند الساعة الثانية عشرة ليلا كما يظنه بعض الناس.

ومن احتاج إلى أخذ شيء من ذلك لتضرره ببقائه - كانكسار ظُفُرٍ أو جُرْحٍ عليه شعر يتعين أخذه - فلا بأس، ولا فدية عليه.

وهذا النهي في ظاهره يخُصُّ صاحب الأضحية ولا يتعداه إلى من أراد أن يُشرِكهم معه في الثواب، كالزوجة والأولاد، إلا إذا كان لأحدهم أضحية تخصه.

٦- الصدقة.

الصدقة من أفضل الأعمال وأحبُّها إلى الله - عز وجل -، كما في الحديث عن النبي ﷺ: «**أَحَبُّ الْأَعْمالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا**»(٢).

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الأعمال تتباهى، فتقول الصدقة: أنا أفضلكم»(٣).

أجر الصدقة عظيم وثوابها جسيم، فالله يُرْبِي الصدقات، ويضاعف لأصحابها المثوبات، ﴿**إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ [الحديد: ١٨].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٧).

(٢) **حسن**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٠٢٦)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٠٦).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٥١٨).

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُها بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصاحِبِهِ، كَما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»[(١)]. والفَلُو: المُهْر، وهو ولد الفرس.

وقال بعض أهل العلم: إذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد غفر لمن سقى كلبا على شدة ظمئه، فكيف بمن سقى العِطاش، وأشبع الجياع، وكسا العُراة من المسلمين؟!

واستحب بعض أهل العلم الصدقةَ عقب كل معصية؛ لتكاثر النصوص في كون الصدقة مكفِّرةً للذنوب.

الصدقة بركة على المال وعلى صاحبه، فهي تحفظ المال من الآفات والهلكات، وتجلب له البركات، قال الله – تعالى –: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

الصدقة تدفع البلاء، دل على ذلك النصوص، وأظهرته الوقائع.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**صَنائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي صاحِبَها مَصارِعَ السَّوْءِ الآفاتِ والهَلَكاتِ**»[(٢)].

٧- التوبة النصوح.

ما أحسن أن تفتتح هذه العشر بتوبة صادقة نصوح، توبة تمحو ما كان، وتغتسل بها من أدران الذنوب. ألم يحِن أن تُقلِع عن ذنوبك وغدراتك؟ ألم يحن أن تعود إلى ربك؟

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤١٠)، و مسلم (١٠١٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٢٩)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧٠٤) واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٧٩٥).

التوبة واجبة، وهي بوابة الفلاح، ﴿**وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١].

مما يتأكَّد في هذه العشر التوبة إلى الله - تعالى -، والإقلاع عن المعاصي، والتخلص من مظالم العباد وحقوقهم.

والتوبة هي الرجوع إلى الله - تعالى - مما يكرهه ظاهرا وباطنا إلى ما يحبه، ندما على ما مضى، وتركا في الحال، وعزما على ألا يعود.

٨- الإكثار من جنس الأعمال الصالحة.

العمل الصالح محبوب لله - تعالى - في هذه العشر، وهذا يعني فضلَ العمل فيها، وعِظَم ثوابه عند الله - تعالى -.

فاجتهد ورَتِّب أوقاتك، وأَوْقِد عزيمتك، وتخفف من أشغالك، واعْمُر هذا الزمن الشريف بما تستطيع من أنواع العمل الصالح مما سبق، ومن غيره، كبر الوالدين وصلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الناس ونفعهم، والمرابطة بالجلوس في المسجد، وغير ذلك من طرق الخير وسبل الطاعة.

ومن ذلك ما ورد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله قال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الغَداةَ فِي جَماعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ**»، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تامَّةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ**»[1].

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٥٨٦)، وحسنه الألباني.

المبحث الرابع: وصايا

وبعد ما سبق، فقد تبين عظيمُ فضلِ هذه العشر، وجليلُ منزلتها، والملاحَظ أن الناس لا يقدُرُونها حق قدرِها، ونحن كم فرطنا في أعوام مضت، فحُقَّ لنا أن نتدارك ما بقي في العمر، ونهتبل فرصة هذه العشر، ونتزوَّد لرحلة الدار الآخرة.

أيها الإخوة، إن إدراك هذه العشرِ نعمةٌ عظيمة من نعم الله - تعالى - على العبد، يَقْدُرُها حَقَّ قدرها الصالحون المُشَمِّرون، وإن واجب المسلم استشعارُ هذه النعمة، واغتنامُ هذه الفرصة، وذلك بأن يخص هذه العشر بمزيد عناية، وأن يجاهد نفسَه بالطاعة.

قال أبو عثمان النهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حاكيا حال السلف: «كانوا يعظمون ثلاث عشرات: العشرَ الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من المحرم»(١).

وكان سعيد بن جبير - راوي الحديث عن ابن عباس - إذا دخلت أيامُ العشر اجتهد اجتهادا شديدا حتى ما يكاد يُقْدَر عليه(٢).

وقالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تُطْفِئوا سُرُجَكم لياليَ العشرِ، تُعْجِبُه العبادة»(٣).

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بلغني أن العمل في اليوم من أيام العشر كقدر غزوة في سبيل الله، يُصام نهارُها ويُحرس ليلُها، إلا أن يُخْتَص امرؤٌ بشهادة»(٤).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فرائض عشر ذي الحجة أفضل من فرائض سائر الأعشار، ونوافلُه أفضل من نوافلها، فأما نوافل العشر فليست أفضل من فرائض غيره»(٥).

---

(١) أخرجه المروزي، كما في «مختصر قيام الليل» (ص: ٢٤٧).

(٢) «سنن الدارمي» (١٨١٥).

(٣) «فتح الباري» لابن رجب (٩/ ١٠).

(٤) «شعب الإيمان» للبيهقي (٥/ ٣٠٩).

(٥) «فتح الباري» (١٦/٩).

وحينئذ، فصيام عشر رمضان أفضل من صيام عشر ذي الحجة؛ لأن الفرض أفضل من النفل.

لا بُد من التهيئة النفسية؛ لأنك أمام موسم مختلف عن غيره، حدَثٌ له شأنه عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فرصةٌ لا تقدَّر بثمن، موسم من مواسم أهل الآخرة الذين يَعرِفون أنَّ وجودهم في الدُّنيا لغرض محدد - عبادةِ الله -، وأن حياتهم الفانيةَ مزرعةٌ وتزوُّدٌ للحياة الباقية. ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ**﴾ [الحديد: ١٦].

تهيَّأْ لهذا الموسم بلباس الذل والانكسار، والتضرع والافتقار أن يصلح اللهُ قلبك، هذا القلبَ المشتت، السادِرَ في غفلته، الضعيفَ في سيره.

والنفس بطبيعتها تميل إلى الدَّعَة والكسل، ويدُب إليها الفتور سريعا، فهذه بعض النصائح:

١- استحضِرْ مكانة هذه العشر، وعظيم فضلها، وقل لنفسك: كيف تفرطين في مواسم الربح، وقد سبق المشمرون وَجَدُّوا؟!

الغنيمة الغنيمة بانتهاز الفرصة في هذه الأيام العظيمة، فما منها عوض ولا لها قيمة، المبادرة المبادرة بالعمل، والعجل العجل قبل هجوم الأجل، قبل أن يندم المفرِّط على ما فعل، قبل أن يسأل الرجعة ليعملَ صالحا فلا يجابُ إلى ما سأل، قبل أن يحول الموت بين المؤمِّل وبلوغ الأمل، قبل أن يصير المرء مرتهنا في حفرته بما قَدَّم من عمل.

لَـــــيْسَ لِلْمَيِّـــــتِ فِي قَـــــبْرِهِ ... فِطْـــــرٌ وَلا أَضْـــــحَى وَلا عَشْـــــرُ

نـــاءَ عَـــنِ الأَهْـــلِ عَـــلَى قُرْبِـــهِ ... كَـــذاكَ مَـــنْ مَسْـــكَنُهُ القَبْـــرُ[1]

يا من طلع فَجْرُ شَيْبِه بعد بلوغ الأربعين، يا من مضى عليه بعد ذلك ليالي عشرِ سنين حتى بلغ الخمسين، يا من هو في مُعْتَرَك المنايا ما بين الستين والسبعين، ما تنتظر بعد هذا الخبر إلا أن يأتيك اليقين، تعرض لنفحات مولاك في هذه العشر؛ فإن فيها لله نفحاتٍ يصيب بها من يشاء فمن أصابته سعد بها آخر الدهر.

(١) «القبور»، لابن أبي الدنيا (ص: ١٦٦).

٢- أشعل جذوة الهمة والعزيمة في نفسك، وابحث عن كل سبب يحقق ذلك، ويدفع الفتور، مثل: مجالس العلم، وسماع المواعظ والدروس، وقراءة المنشورات، وزيارة الصالحين وأصحاب الهمم، والقراءة في سير السلف، ونحو ذلك.

فمثل هذه الأشياء لها أثر كبير في جلب الهمة والعزيمة والنشاط، ودفع الفتور والكسل.

٣- الأعمال الصالحة كثيرة، فنَوِّع واضرِب لك بسهم في كل باب، وانظر ما يناسبك من العمل؛ فإن أبواب الجنة ثمانية، وذكروا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه كان لا يكثر الصوم، فقيل له، فقال: «إني إذا صمت ضَعُفْتُ عن الصلاة، والصلاة أحبُّ إليَّ»(١).

٤- الضراعة إلى الله بإصلاح الحال، وطلب الغوث والعون، ومن أحسن الأدعية في هذا أن يلهج العبد صباح مساء: اللّٰهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

إذا لَـــمْ يَكُـــنْ عَـــوْنٌ مِـــنَ اللهِ لِلْفَتَـــى فَـــأَوَّلُ مـــا يَجْنِـــي عَلَيْـــهِ اجْتِهـــادُهُ(٢)

٥- مجاهدة النفس وتربيتها على الصبر والاجتهاد في أداء العبادات وتكميلها، وتعظيمها في القلب، واستشعار جلالة العمل وشرفه (عبادة الله)، ورجاء ثواب الله وجنته.

الصوم يحتاج إلى مجاهدة النفس، الجلوس لقراءة جزء من القرآن يحتاج مجاهدة، التفرغ للصلاة يحتاج مجاهدة، في أول الأمر تكون ثقيلة على النفس، فإذا صبر العبد وروَّض نفسه وجاهدها = انقلبت العبادة إلى لذة، وصار لها حلاوة، ﴿**وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

اللّٰهم وفِّقْنا لتدارك الأوقات باغتنام الساعات في أعمال الخيرات والاستعداد للوفاة قبل الموافاة، وجنبنا الشرور والمنكرات وسائر الفتن والموبقات.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٧٩٠٣)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٦٩).

(٢) «الفرج بعد الشدة»، للتنوخي (١/ ١٧٧). والبيت منسوب لأمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهرس المحتويات

المقدمة ٢

المبحث الأول: فضائل عشر ذي الحجة ٤

أولا: الشهادة النبوية بفضلها ٤

ثانيا: أن الله - تعالى - أقسم بها ٥

ثالثا: أن فيها يومَ عرفة ويومَ النحر ٥

رابعا: أن فيها صلاةَ العيد والأضحيةَ والحج ٥

خامسا: أنها من أحد الأشهر الحرم ٥

سادسا: أنها العشر التي أتمها الله في ميعاد موسى ﷺ ٦

المبحث الثاني: يوم عرفة ويوم النحر ٧

أولا: يوم عرفة ٧

ثانيا: يوم النحر ٩

المبحث الثالث: الأعمال المشروعة في عشر ذي الحجة ١١

١- الصلاة ١١

٢- الصيام ١٢

٣- الذكر ١٢

مسائل تتعلق بالتكبير في أيام العشر ١٣

المسألة الأولى: أنواعه ١٣

المسألة الثانية: صيغته ومعناه ١٤

المسألة الثالثة: الجهر بالتكبير ١٥

٤- الحج والعمرة ١٧

٥- الأضحية ١٨
٦- الصدقة ١٩
٧- التوبة النصوح ٢٠
٨- الإكثار من جنس الأعمال الصالحة ٢١
المبحث الرابع: وصايا ٢٢
فهرس المحتويات ٢٥